صوبا في التاريخ

نبذة تاريخية

صوبا– قرية صغيرة تقع على بعد ١٠ كم غربي القدس، ترتفع عن سطح البحر ٢٥٧٦ قدماً، أي ما يعادل ٧٩٨م، ولعل اسمها مأخوذ من الكلمة الآرامية sobeba بمعنى الحافة، وكانت تعرف عند الرومان sobim "صيوئيم".

في العهد القديم موقعان باسم "صبوعيم" بمعنى ظباع، و"صبويم" بمعنى ظباء، ولم يذكر أحد بأن مكان أي منهما بجوار "صوبا"، وصبوعيم وادي في شرقي مخماس إلى الجهة الغربية يسمى اليوم "ابو الضباع"، وصبوييم إحدى المدن التي دمرت مع مدن "سدوم" جنوب البحر الميت.

ومن مسميات هذا المكان ewpns أو ewbns وقد ذكر هذا الاسم في النسخة اليونانية من كتاب يشوع في قائمة المدن ل يهوذا، مقاطعة بيت لحم.

وفي مرحلة لاحقة من الممكن ربط المكان باسم "سيبويم"، وقد ذكرت في كتابات الحاخامات خلال العهد الروماني اللاحق.

إن بقاء القبور المنحوتة في الصخر وبقايا الفسيفساء المرصوفة، تبيّن وجود حياة من نوع ما في **العصرين الحديدي والبيزنطي**.

وقد ذكرها صاحب معجم البلدان "صُوبا" بالضم وبعد الواو باء موحدة، وهي قرية من قرى بيت المقدس.

وفي كتابه "كي لا ننسى" يقول وليد الخالدي: (كانت قرية صوبا تشمخ على ذروة جبل، وتشرف على جبال أخرى من الجهات كلها. وكانت طريق فرعية، طولها ٣ كلم، تصلها بطريق القدس-يافا العام المار شمالها. كما كانت طرق ترابية تربطها بمجموعة من القرى المجاورة. وعُدّت صوبا قائمة في موقع بلدة ربّا القديمة، وقد سميت روبوتِه في رسائل تل العمارنة المصرية القديمة، إلا أن التنقيبات التي أجريت في الموقع تشير إلى أن القرية أهلت أول مرة في العهدين الفارسي والهلنستي.

في أيام الرومان، كان اليهود المقيمون في المنطقة يسمونها سيبويم، بينما كان الإغريق والرومان يدعونها سوبا او (سوبيثا). وقد أنشأ الصليبيون قلعة في موقع القرية ودعوها بلمونت.

في سنة ١٥٩٦م كانت صوبا قرية في ناحية القدس (لواء القدس)، وعدد سكانها ٣٦٩ نسمة. وكانت تؤدي الضرائب على عدد من الغلال كالقمح والشعير والزيتون، بالإضافة إلى عناصر أخرى من الإنتاج والمستغلات كالماعز وخلايا النحل ودبس الخروب.

في أواسط القرن التاسع عشر، كانت صوبا تحت سيطرة آل أبي غوش، الذين كانوا يحكمون المنطقة من مقرهم في قرية العناب. وقد أنشأوا حصنا لهم فيها داخل أسوار القلعة الصليبية، لكنه دمر هو وأسوار القلعة في إبان حملة إبراهيم باشا المصري في فلسطين سنة ١٨٣٢م.

في أواخر القرن التاسع عشر، كانت صوبا قرية متوسطة الحجم، مبنية بالحجارة وقائمة على قمة تل مخروطي الشكل شديد الانحدار. وكان يتوسط القرية، التي تحف بها بساتين الزيتون وكروم العنب، منزل فريد في ارتفاعه بالإضافة إلى بقايا القلعة الصليبية. وكانت منازل القرية المبنية بالحجارة تتجمهر، أصلا في رقعة صغيرة تقع داخل أسوار القلعة الصليبية. وفي وقت لاحق أنشئت المنازل الجديدة إلى الجنوب، في موازاة الطريق الموصلة إلى طريق يافا-القدس العام، واتخذت القرية بذلك شكل المستطيل. وكان سكان صوبا من المسلمين، ولهم فيها مقام لشيخ يدعى إبراهيم إلى الجنوب من الموقع، وكان من أهم محاصيل القرية الحبوب التي كانت تزرع في بطن الوادي، وأشجار الفاكهة والزيتون التي كانت تزرع على المنحدرات. وكان ثمة ينابيع عدة في جوار القرية، التي كان سكانها يتزودون منها مياه الاستخدام المنزلي ومياه الري)."١"

ولموقع صوبا الاستراتيجي مكاناً رئيسياً للاستيطان، فهي قرية من قرى بيت المقدس، والقدس بمثابة القلب في فلسطين والعالم العربي، وإذا أردنا أن نتحدث عن تاريخ صوبا، فلا بد أن نتحدث عن تاريخ فلسطين عامة، والقدس خاصة، فقد تأثرت صوبا بكل أحداث بيت المقدس، بحكم أن القرية مجاورة لمدينة القدس من الجهة الغربية، فقد تعاقبت على الموقع حضارات عدة سادت ثم بادت، ومن هذه الحضارات:

الكنعانيّون والعهد اليبوسي، وهم الذين عاشوا في القدس في الألفية الثالثة قبل الميلاد، أطلقوا عليها اسم أورساليم، ثم يبوس، وقبيلة يبوس من الساميين الذين نزحوا من جزيرة العرب، وسكنوا المرتفعات المطلة على مدينة القدس، وقد شيّد اليبوسيون مدينتهم "ربّة – rabba" على قمة تل صوبا. "٢"

وقد أجمعت الوقائع التاريخية أن قبائل اليبوسيّين انتشرت في فلسطين منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تفرعت عنهم بطون العموريّين والفنيقيّين والهكسوس، ثم اليبوسيّن آباء الفلست أو البلست، وهم الذين بنوا القدس وأطلقوا عليها اسم "يبوس"، وسكنوها لأكثر من الف وستمائة عام (٢٦٠٠ق.م – ٩٦٣ق.م)، ثم تعاقبت على القدس وفلسطين عشر عهود شملت العهد اليهودي فالأشوري ثم البابلي، فالفارسي، فالإغريقي اليوناني، ثم الحكم الروماني، فالإسلامي الأول (٦٣٦م- ١٠٩٩م)، ثم الصليبي (١٠٩٩م- ١١٨٧م)، ثم الإسلامي في حقبته الثانية (١١٨٧م – ١٩١٧م)، ثم البريطاني (١٩١٧م – ١٩٤٨م)، الذي كثف أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين، خاصة بعد وعد بلفور عام ١٩١٧م.

وعبر التاريخ خضعت صوبا **لحكم فراعنة مصر** عام ١٤٧٩ق.م، وقد أسموها مدينة "ربوته- rubut"، وهذا الاسم جاء في رسائل تل العمارنة المصرية، وهي رسائل من الطين، وجهت إلى فرعون مصر من مدن فلسطين ومن بينها مدينة "ربوته" لطلب المساعدة والنجدة ضد العبرانيين القادمين لغزو بلادهم. "٣"

وقد تعرّضت مدينة القدس وما حولها من القرى والمدن لغزو من قبل قبائل البدو والذين يعرفون باسم الخابيرو، وقد ظلت مدينة القدس تحت أيديهم لفترةٍ من الزمان حتّى عادت فيما بعد لحكم المصريين.

في عام ١٠٤٩ق.م، دار صراع عنيف بين بني إسرائيل القادمين من مصر وبين الكنعانيين العرب، سقطت على أثره القدس في عهد ملكهم يهودا. "٤"

كذلك غزا **الأشوريون** منطقة القدس ودكوا أسوارها وأسروا بعض سكانها سنة ٧٣٠ق.م. "٥"

في عام ٥٩٩ ق.م غزا **البابليون** منطقة القدس وتمكنوا من الاستيلاء عليها على يد ملكهم "نبوخذ نصّر" الذي هزم آخر ملوك اليهود، وسبى بني إسرائيل، ودك أسوار القدس والقرى المحيطة بها، وقام بنقل الأسرى اليهود إلى مدينة بابل. "٦"

في **عهد كورش ملك الفرس** سنة ٥٣٨ ق.م، استولى الفرس على منطقة القدس وفتحوا باب العودة لرجوع اليهود إليها "٧"، وقد كشفت الحفريات التي قامت بها مدرسة الآثار البريطانية عام ١٩٨٦- ١٩٨٨م عن وجود استيطان فارسي قديم في صوبا.

في **العهد اليوناني** سنة ٣٣٢ ق.م تمكن "الإسكندر المقدوني" من إسقاط الإمبراطورية الفارسية وطرد أهلها من البلاد. "٨"

وعندما جاء **بومبي الروماني** سنة ٦٣ق.م أنهى الوجود اليوناني في منطقة القدس،ثم قام الحاكم الروماني أدريان بتدمير المدينة، وإخراج اليهود المقيمين منها، ولم يُبقِ فيها إلا المسيحيين."٩"، وقد دلّت الآثار أن الآثار الرومانية ما زالت تشاهد حتى اليوم في قرية صوبا من خلال بقايا الأبنية والأقنية والكهوف والمدافن.
وفي الفترات اللاحقة، استولت **جيوش الفرس بقيادة "كسرى"** على سوريا ودخلت فلسطين.

في **العهد البيزنطي** تمكن "هرقل" من هزيمة الفرس سنة ٣٣٠ م. "١٠"، وأصبحت دولة الرومان أقوى دول المنطقة، وما زالت الآثار البيزنطية خاصة رسوم الفسيفساء ماثلة للعيان في قرية صوبا حتى اليوم.

في **العصر الإسلامي**، دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس عام ٦٣٦م، بعد انتصار الجيش المسلم بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، وقد قام البطريرك صفرونيوس بتسليم مفاتيح المدينة إلى عمر بن الخطاب الذي قام بإعطاء العهدة العمريّة إلى أهل القدس، وقد نصت هذه العهدة على أن لا يسكن اليهود هذه المدينة المقدّسة، وبذلك أنهى حكم الإمبراطورية البيزنطية، وعادت فلسطين عربية إسلامية. "١١"

وكباقي مدن وقرى فلسطين دخلت صوبا في الإسلام، وحافظت على بعض المقامات الإسلامية فيها، مثل المقام العمري "نسبة للخليفة عمر ابن الخطاب"، ومقام الشيخ إبراهيم الأدهمي "توفي عام ١٦١هـ" وغيرها من المقامات الإسلامية.

وفي **العهدين الأموي والعباسي** بقيت صوبا تعتز بالإسلام، ولم يعكّر صفوها سوى الحروب الصليبية.

في العهد الصليبي سنة ١٠٩٩م،وأثناء الحملات الصليبية، احتل الصليبيون قرية صوبا كباقي مدن وقرى فلسطين "١٢"وذلك بعد خمسة قرون من حكم المسلمين لها، كما قاموا بانتهاك العديد من الأماكن المقدسة الإسلاميّة. وتمكنوا من طرد سكانها الأصليين لإحلال المستوطنين القادمين من أوروبا مكانهم.

ولموقع قرية صوبا المرتفع غرب بيت المقدس، ولأهميتها الاستراتيجية في الدفاع عن القدس وحماية طريق القوافل الموصلة إليها من البحر، أقام فرسان الإسبتارية قلعة لهم على أنقاض قرية صوبا العربية أسموها **حصن بلمونت** belmont وأحاطوه بسور ضخم مثمن الأضلاع.. وتقبع بقايا قلعة بلمونت اليوم تحت المباني العربية المدمرة في قرية صوبا.

وخلال الأربعين سنة الأولى من القرن الثاني عشر، نقل الموقع التقليدي الإنجيلي لعمواس من عمواس إلى قرية العنب "أبو غوش"، وهي محطة طريق رومانية وعباسية قريبة من القدس، وفي سنة ١١٤٠م أمر القديس يوحنا القدسي ببناء كنيسة الانبعاث، ونتيجة لهذه النقلة الطبوغرافية عُرفت جبال مودين بكونها التلة البارزة المطلة على وادي قرية العنب.

في عام ١١٧٢م وصف أحد الحجاج الثيودريين الموقع بدقة، فبعد أن وصف الأماكن المقدسة في "عين كارم" والمناطق المحيطة بها أضاف قائلاً:

".. في جوار هذا المكان تقبع تلال مودين التي جلس فيها ماثاثياس وأبناؤه عندما فتح أنتيكوس المدينة وهزم أبناء إسرائيل".

تدعى تلك الجبال من قبل الناس اليوم ب بلمونت، وتقبع تلك الجبال بجوار قرية عمواس، والتي يسميها سكانها اليوم "فونتينوير" حيث ظهر الرب لإثنين من أتباعه في نفس يوم البعث.

ولم يذكر الثيودوري قلعة بلمونت، مما يدل على أنها بنيت حوالي عام ١١٦٩م، عندما أشير إلى حاكم القلعة الإسبتاري في رسالة للبابا الإسكندر الثالث، والذي كان له دور نشط في حماية النظام في الأراضي المقدسة.

وهناك حاكم آخر للقلعة يدعى "ويليام أوف بلمونت" وهو فارس إسبتاري آخر، ذكر أنه كان في عام ١١٧٥م يساعد مسؤول مالية النظام ومسؤول نقل ملكية الأراضي في القدس.

وفيما بين ١١٦٣- ١١٦٩م امتلك الإسبتاريون العديد من الأراضي في المنطقة المحيطة ب بلمونت.

وعندما قدم صلاح الدين الأيوبي إلى بيت المقدس في **العهد الأيوبي** (١١٨٧-١٢٥٣م)، فتحها كما فتح بقية الحصون المجاورة، ومنها حصن بلمونت في قرية صوبا عام ١١٨٧م، وبذلك عادت صوبا ثانية إلى حظيرتها العربية الإسلامية. "١٣"

في عام ١١٩١م دُمّرت قلعة بلمونت في صوبا على أيدي جنود صلاح الدين الأيوبي مع بقية القلاع المجاورة في تورون "اللطرون" وكاستيلون ايرنالدي "يالو وبيفيريوم" "القسطل"، حتى لا يستفيد منها جنود الصليبيين عندما حاول "ريتشارد قلب الأسد" استرداد بيت المقدس من أيدي المسلمين.

ومن المحتمل أن يكون "جيفري أوف بلمونت" الفارس الإسبتاري الذي شهد على ميثاق انطاكية عام ١٢٠٣م واحد من الأشخاص الذين نجوا من تلك الحامية.. أما بعد ذلك فتختفي قلعة "بلمونت" من السجلات والتاريخ.. لكن قرية "صوبا" استمرت في الوجود، وقد ذكرها الجغرافي العربي ياقوت الحموي عام ١٢٢٥م.

في **العهد المملوكي** (١٢٥٣- ١٥١٦م) تعرّضت مدينة القدس لغزو المغول، لكن استطاع المماليك هزيمتهم بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس في معركة عين جالوت عام ١٢٥٩م، وألحقت قرية صوبا بمملكة دمشق بعد المعركة التي أوقفت المد المغولي إلى بقية البلاد العربية، وطردوا المغول إلى ما وراء نهر الفرات. "١٤"

في زمن **العهد العثماني** الذي امتد قرابة ٥٠٠ عام (١٥١٦- ١٩١٧م)، سيطرت جيوش "السلطان سليم الأول" على فلسطين وبقية بلاد الشام بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق عام ١٥١٦م، وتبعت فلسطين ولاية بلاد الشام. "١٥"

ولموقع صوبا الاستراتيجي وأهميته، فقد تبعت القرية لولاية القدس "ناحية القدس"، وسيطر معظم رجال الدولة من قادة الفرسان "السباهية" والزعماء العثمانيون عليها، وأوقعوها تحت نظام التيمار، ومن ثم الزعامة أي الإقطاع العسكري.

في عام١٨٣١م أعلن **محمد علي باشا** والي مصر العصيان على تركيا، وأرسل جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم باشا المصري لاحتلال مدن فلسطين وقراها بما فيها القدس، إلا أنه جوبه بمقاومة عنيفة من قبل السكان المحليين والثوار في قرية صوبا، مما دفعه إلى محاصرتها وقصفها، وبعد معركة حامية الوطيس احتلها وأمر بتدمير سورها وتحصيناتها وأبنيتها القوية. "١٦"

(وبالرغم من ذلك فما زال هناك أجزاء سليمة من السور شاهدة بانتظامها وأبعادها الكبيرة على جمال سور الحصن الذي كان يحيط بالبلدة، والذي كان في ذلك الوقت بالرغم من أنه عانى مع مرور الزمن ومرور الأمم عليه، في حالة جيدة صالحة ليكون – بالرغم من التهدّمات العديدة – مأوى لسكان صوبا). "١٧"

في عام ١٨٤١م استرد **السلطان عبد الحميد** القدس وفلسطين بمساعدة إنجلترا والنمسا، وظلت تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى.

في عام ١٨٦٩م، قامت الدولة العثمانية بإصدار قرار بالسماح بتمليك الأراضي للأجانب، وفي عام ١٨٧٥م نشأت أول جمعية سرية لمناهضة الحكم العثماني في بيروت، ثم انتشار الجمعيات المماثلة في شتى أرجاء ولاية سورية.

وخلال **الثمانينات من القرن التاسع عشر** والفترة ما بعدها، تأزمت حالة المجتمعات اليهودية في أوروبا، مما أدى إلى بلورة الصهيونية، وهي إحدى الحركات القومية اليهودية المقامة آنذاك. وقد حددت الحركة الصهيونية منذ نشوئها هدفا لها جمع جميع اليهود في بلاد واحد تصير موقع دولة يهودية، وفضلت "إيرتس يسرائيل" أي "فلسطين" لإقامة الدولة اليهودية، وبعد أن استولت بريطانيا على مصر، أقامت عدد من الحكومات الأوروبية مندوبيات وقنصليات في فلسطين الخاضعة للسلطة العثمانية،واعتبرت هذه الحكومات أيضا فلسطين بلاداً متعلقة بالشعب اليهودي.

في زمن **الانتداب البريطاني** وقعت فلسطين تحت حكم البريطانيين من عام ١٩١٧م وحتى عام ١٩٤٨م،حيثاحتل الجيش البريطاني، أثناء الحرب العالمية الأولى، أرض فلسطين، وفي عام ١٩٢٢م تأسس الانتداب البريطاني على فلسطين بموجب قرار عصبة الأمم في مؤتمر سان ريموعام ١٩٢٠م، وأشارت سرعة تنفيذ الانتداب إلى "وعد بلفور"، الذي كانت الحكومة البريطانية قد نشرته في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، أساساً للانتداب، والذي قال إن: "حكومة صاحب الجلالة (البريطاني) تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين". وكان من ردود الفعل العربية الفلسطينية لوعد بلفور عقد أول مؤتمر وطني فلسطيني عام ١٩١٩م رافضاً له كونه كان وعد من لا يملك لمن لايستحق، وكون فلسطين هي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي.

في نيسان ١٩٢٠م حدثت أولى الأزمات العنيفة بين العرب واليهود في سلسلة من الأزمات، كانت ذروتها بين السنوات ١٩٣٣ و١٩٣٦ في ما يسمى بالثورة الفلسطينية الكبربوالإضراب العام، والتي تطورت بعد انتهاء الانتداب إلى ما يسمى بالقضية الفلسطينية، أو النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، ثم الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨م التي كان من نتائجها نكبة الشعب الفلسطيني ونزوحه عن وطنه، وتدمير بعض المدن وإزالة أكثر من ٣٨٥ قرية من الخارطة الفلسطينية، ومن بينها قرية صوبا، والإعلان عن قيام دولة إسرائيل بتاريخ ١٥ أيار عام ١٩٤٨م.

****